ستديو ثقافة شعبية

الشاعر الشعبي الراحل الحاج عبد السادة ال كصاد شاعر ثورة العشرين

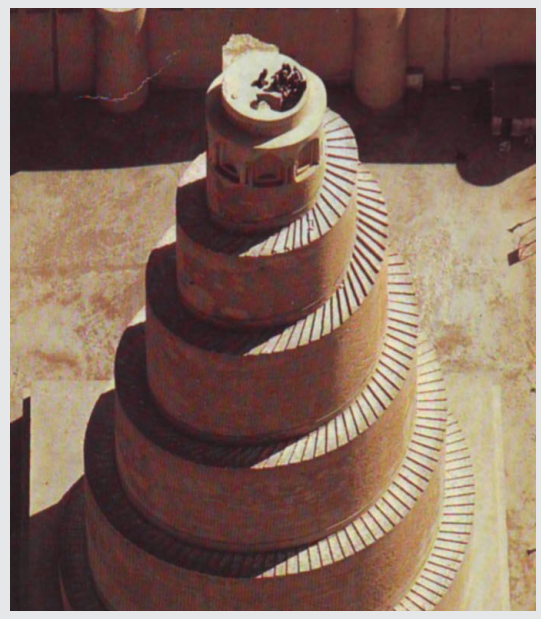
ملوية سامراء التاريخية ..صورة من الجو

ملكة انكلترا فكتوريا التي امرت برش شوارع مدينة كوبنرغ بماء الكولونيا احتفاء بزيارتها لها عام ١٨٤٥

الـــطـــيـــرة .. والـــتـــطـــيـــر

الـــتـــفـــاؤل والـــتـــشـــاؤم

محمد عبد الرضا الذهبي

الطِّيَرة (بكسر الطاء وفتح الياء المثناة تحت) هي التشاؤم بالمفهوم الحديث او كل ما يتشاءم به من الفأل الرديء او التخوف من حدوث حدث ما، وهناك فرق بين الطيرة والفأل وذلك ان الطيرة تكسر النية وتثني العزيمة وأن الفأل تقوية للعزيمة وتحضيض على التبعية، قال الله تعالى: وان تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا انما طائرهم عند الله" أي شؤمهم "قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم" و"قالوا أطيرنا بك وبمن معك" ويقال تطير طيرة، وتخير خيرة ولم يأت من المصادر او اشتقاق الطيرة إلا من الطيرلسرعة لحوقه الباء على اعتقادهم كما يسرع الطير في الطيران.

وقال النبي صلى الله عليه وآله: لا عدوى ولا طيرة، وقال: ليس منا من تطير، وقال ايضاً: ثلاثة لا يكاد يسلم منهن احد: الطيرة والظن والحسد، قيل فما المخرج منهن يا رسول الله؟ قال: اذا تطيرت فلا ترجع واذا ظننت فلا تحقق واذا حسدت فلا تبغ وقال: اذا تطيرت أو رأى احدكم الطيرة يقول: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك ولا إله غيرك لم تضره.

وفي حديث مرفوع: اصدق الطيرة الفأل وفيه الطير تجري بقدر. وأما الفأل فهو مهموز ويجوز ترك الهمزة مجاراة للغة قريش حيث كانت لا تهمز وقد فسره النبي بالكلمة الصالحة الحسنة، فقال: لا طيرة، وخيرها الفأل فقيل يا رسول الله وما الفأل؟ قال: الكلمة الصالحة يسمعها احدكم، وفي رواية اخرى قال: يعجبني الفأل واحب الفأل الحسن وقد انشد المبرد:

لا يعلم المرء ليلاً ما يصبحه
إلا كوادب ما يجري به الفال
والفأل والزجر والكهان كلهم
مضللون ودون الغيب اقفال

وكانت العرب تتطير بالسوانح والبوارح فالسانح وما ولاك ميامنه واما البارح فهو ما ولاك مياسره، والجابه ما استقبلك من تجاهك والقعيد الذي يأتيك من خلفك: وقد كانت العرب اذا ارادوا سفراً خرجوا من الغلس (الظلام) والطير في اوكارها على الشجر فيطيرونها فان اخذت يميناً اخذوا يميناً وان اخذت شمالاً اخذوا شمالاً يقول امرؤ القيس:

وقد اغتدي والطير في وكناتها
بمنجرد قيد الاوابد هيكل
مكر مفر مقبل مدبر معاً
كجلمود صخر حطه السيل من عل

ونقلوا حديثاً للرسول صلى الله عليه وآله (أقروا الطير على وكناتها) ويعني مكاناتها وقال ابن سلام وكانوا ينفرون الطير او الظباء فان اخذت ذات اليمين تركوا به ومضوا في اسفارهم وقضاء حوائجهم وان اخذت ذات الشمال رجعوا عن ذلك ويقول يعني اقروها على بيضها لا تنفروها فتطير من بيضها واصل المكن بيض الضب والمفردة المكنة.

ويعتقدون بان الطيرة تنفع او تضر مما اثرت في تحقيق مقاصدهم وتعطيل اعمالهم حتى انهم يعدون العطاس من النهي فلا يذهبون الى اعمالهم اذا سمعوا عطسة واحدة واذا تكررت تفاءلوا وراحوا يستبشرون بالخير وقضاء الحاجة بيسر قائلين:

اللهم خير قصدناه ورزق كسبناه قال المرقش:

ولقد غدوت وكنت
لا اغدو على واق وحاتم
فإذا الاشائم كالأيامن
والأيامن كالأشائم
وكذاك لا خير ولا
شر على احد بدائم

وقال آخر

تعلم إنه لا طير إلا
على متطير وهو البثور
بلا شيء يوافق بعض
شيء احايينا وباطله كثير

والعرب اعظم ما يتطيرون منه هو الغراب، فالقول فيه اكثر من ان يطلب عليه شاهد ويسمونه حاتماً لانه يحتم عندهم بالفراق ويسمونه الاعور على جهة التطير بصراً وفيه يقول بعضهم:

إذا ما غراب البين صاح فقل به
ترفق رماك الله يا طير بالبعد
لأنت على العشاق أقبح منظر
وأبشع في الابصار من رؤية اللحد
تصيح ببين ثم تعثر ماشياً
وتبرز في ثوب من الحزن مسود
متى صحت صحَّ البين وانقطع الرجا
كأنك من يوم الفراق على وعد

وتتطير العرب من الغراب لأسم الغربة فيه فقال أبو الشيص الشاعر

أشاقتك والليل ملقى الجران
غرابٌ ينوح على غصن بانِ
وفي لغبات الغراب أغتراب
وفي البان بينٌ بعيدٌ التداني

والغراب معروف ويسمى غراباً لسواده ومنه قول الله تعالى "وغرابيب سود" وهما لفظات بمعنى واحد وجمعه غربان واغربة وأغرب وغرابين وغُرب وقد جمعها أبن مالك في ألفيته في قوله:

بالغرب أجمع غراباً ثم اغربةً
واغرب وغرابينَ وغربانُ

ويصفونه بخسة النفس لأنه يأكل الميتة والقمامة كما انه أناني الطبع لا يحب لغيره ما يحب لنفسه وفي صفة من صفاته قال الشاعر يصفه:

إن الغراب وكان يمشي مشيةً
فيما مضى من سالف الأجيالِ
حسد القطاة ورام يمشي مشيها
فأصابه ضرب من العقالِ
فأضلَّ مشيته وأخطأ مشيها
فلذاك سموه أبا المرقال

والناس تتشاءم منَ نعيقه وحينما يَسمعه احد يصيح بأعلى صوته (خير خير) قال الشاعر الشعبي:

غراب البين كابلني وغباني
واخذ ريم الفله مني وغباني
كبر حبي يصاحب ما غباني
حلتلي نومته حدر التراب

والغراب من لئام الطير قليل الوفاء يترك فراخه بعد التنفقيس دون تغذيتها فتبقى تفتح مناقيرها فجعل الله قوته في الذباب والبعوض الكائن في عشه الى ان يقوى وينبت ريشه فيعود اليه ابواه وهو لا يتعاطى الصيد بل يعيش على بقايا الجيف فان وجد جيفة أكل منها وإلا مات جوعاً ولهذا تتشاءم العرب منه لتلك الطباع واشتقوا من اسمه الغربة والاغتراب والغريب والغربة اسماء دالة على محصول الاغتراب قال عنترة العبسي:

ضعف الذين فراقهم اتوقع
وجرى ببينهم الغراب الابقع

وقال الشاعر الشعبي:

إنطر كلبي أبكشر ما ناح ونعاب
وعلي تنكد تراها الناس ونعاب
إنفكك يا غراب البين ونعاب
علي اللي بالوصل شحوا عليه

وقد بعث الله الغراب مرتين مرة الى قابيل لما قتل اخاه هابيل ولم يبعث له غيره من الطير ولا من الوحش لأن القتل كان مستغرباً جداً اذ لم يكن معهوداً قبل ذلك فناسب بعث الغراب وذكر القرآن الكريم تلك الحادثة بقوله "فبعث الله غراباً يبحث في الارض ليريه كيف يواري سوءة اخيه قال يا ويلتا اعجزت ان اكون مثل هذا الغراب فأواري سوءة اخي فاصبح من النادمين" المائدة/ ٣١.

والبعثة الثانية كانت بامر النبي نوح عليه السلام لنجيره عن اليابسة وقد جاء في الامثال عن خبث الغراب ودناءته فقال الشاعر:

ومن يكن الغراب له دليلاً
يمر به على جيف الكلاب

ومن قصيدة لي شعبية اهجو فيها:

غنم وبغفلة الراعي تطشون
ودريتوا الذيب يطمع بالمفردات
انا بهذا الحجي ادري تزعلون
هدف وتفوتكم معنى الحجايات
كل اللي مشى يتبع الغربان
يظل سهمة الشتائم والمسبات

ولقيس بن ذريح:

ألا يا غراب البين قد طمرت بالذي
احاذر من لبنى فهل انت قانع

وقول احد الشعراء ويتضمن مثلاً يضرب على الشيء الذي لا يكون:

اذا شاب الغراب اتيت اهلي
وصار الفأر كاللبن الحليب

ويزعم الرواة ان العرب كانت تسمي الغراب اعوراً لانه يغمض ابداً احدى عينيه ويقتصر على النظر باحداهما من قوة بصره وقيل سمي اعوراً لحدة بصره على طريق التفاؤل فقال بشار بن برد الشاعر:

وقد ظلموه حين سموه سيداً
كما ظلم الناس الغراب بأعورا

وقالوا عنه في المبالغات: اخيل من غراب وازهى وابكر من غراب وأشأم من غراب البين الذي سمي بغراب البين لأنه يألف ديارهم اذا بانوا منها، وقال فيه الشاعر:

وصاح غرابٌ فوق أعواد بانة
بأخبار احبابي فهيمّني الفكر
فقلت غرابٌ بأغتراب وبأنة
ببين النوى تلك العيأفة والرجز

ولذي الرمة:

رايت غراباً ساقطاً فوق قضبة
من القضب لم ينبت لها ورق خضر
فقلت غرابٌ لأغتراب وقضبة
لقضب النوى هذي العيافة والزجر

وقال الكميت بن زيد الاسدي:

ولا انا ممن يزجر الطير همه
اصاح غراب ام تعرض ثعلب
ولا السانحات البارحات عشيةً
أمر سليم القرن أم مر أعضبُ

وكان العرب يتخوفون من الحيوان الذي قطع احد قرونه فيسمونه اعضب وعكسه السليم

وقال شاعر آخر:

رأيت غراباً ساقطاً فوق بانة
ينتف أعلى ريشه ويطايرُه
فقلت ولو اني اشاء زجرته
بنفسي لتهدي فهل انت زاجره
فما أعيف المهدي لا در دره
وازجره للطير لا عز ناصره

وقال عوف الراهب:

غلط الذين رأيتهم بجهالة
يلحون كلهم غراباً ينعقُ

كـمـال الـسـيـد ملحن الاغـنـيـة الـشـعـبـيـة .. الـكـبـيـر حـيـاة وابـداع

ضياء السيد كامل

قامة من قامات الفن العراقي الاصيل وعلم من أعلام الموسيقى والغناء وقمة من قمم الابداع الكبيرة التي سارت بها موهبتها نحو فضاءات الابداع المنحدر من اقصى سلالات فجر التاريخ الانساني من سومر وأور ولكش، في الناصرية منجم المبدعين تحديداً تفتحت اذاناه على (دلول) أمه تلك المرأة الجنوبية المفعمة بالحياة وبكل ما تحمل هذه التسمية من دلالات وجدانية وارث روحي وعلى مواويل القصب وابوذيات الهور والصيادين نمت ذائقته الموسيقية وتشبعت روحه بالوان الغناء الذي كان ومايزال امتداداً لغناء الحضارات التي خبت بين الطين والماء.

(كمال السيد طالب عليوي) طائر التم الذي غيبه المنفى ووري جثمانه في (كوبنهاكن) بعد رحلة طويلة من الترحال والالم ابتدأ مشواره الفني في منتصف ستينيات القرن الماضي عشر سنين فقط، هي الفترة التي عاشها كمال السيد في العراق كملحن وعرف خلالها وترك بصمته على جسد الاغنية العراقية أستطاع خلالها ان يقدم العشرات من الاعمال الغنائية المهمة والتي اصبحت فيما بعد جزءاً من تأريخ الاغنية العراقية، اقترن اسمه مع ألمع واهم الاسماء الشعرية العراقية مظفر النواب ، زامل سعيد فتاح ،عريان السيد خلف ، كاظم اسماعيل الكاطع ،كريم العراقي واخرين، وأن ذكاءه في اختيار النص والمفردة وعبقريته في اختيار الجمل الموسيقية الجديدة على اذن المتلقي وقتئذ وعوامل سايكلوجية وبيئية اخرى اثمرت اعمالاً غاية في الروعة وساهمت في اعادة تشكيل الذائقة العراقية الغنائية التي كانت تهيمن عليها البستة البغدادية والاغنية الريفية بجملها البسيطة وقوالبها المحدودة ، ولا اقول انفرد بهذه الخاصية ولكنه كان احد اهم الملحنين العباقرة الذين احدثوا فتحاً جديداً في تأريخ الاغنية العراقية والتي عرفت فيما بعد بـ (الاغنية السبعينية) امثال كوكب حمزة، محسن فرحان، طالب القره غولي، محمد جواد اموري.

كمال السيد

أغنية ،،المكير،،

مشيت وياه للمكيّر أودعنه
مشيت وكل كتر مني انهدم بالحسرة والونه
وصاح الريل واني وياه يعت بيه وعت بنه
على الرملة الرملة
وضوة الكمرة الكمرة

في العام ١٩٦٩ انطلقت من بين انامله اغنية المكير والتي كتب كلماتها الشاعر الكبير زامل سعيد فتاح والتي احدثت لغطاً كبيراً بين زملائه من الفنانين قبل تسجيلها لما فيها من التجديد وغرابة التركيبة اللحنية وكان من ضمن المعترضين أستاذه الموسيقار جميل سليم وتحديداً بعدما عرفوا ان المطرب ياس خضر سوف يغنيها وهو المعروف باغنياته الريفية البسيطة مثل (الهدل، ابو زركة) فاستنكروا مقدرته على اداء مثل هكذا جمل لحنية مركبة واعتقدوا بان اختيار كمال لياس خضر خطأ كبيراً إلا أنه اثبت للجميع دقة اختياره فقد نجحت الاغنية نجاحاً كبيراً وفتحت الباب للعديد من الملحنين للاهتمام بصوت ياس خضر وهكذا كان دابه في اكتشاف الاصوات الغنائية وأعطاء اللون الخاص للعديد من المطربين الذين كانوا بلا لون خاص بهم حتى اقترنت اصواتهم بالحان كمال السيد.

في عام ١٩٧٤ قدم الملحن كمال السيد صوتاً غنائياً جديداً إلى المستمع العراقي من خلال أغنية (مدللين) من كلمات الشاعر إسماعيل محمد إسماعيل، كان اسم هذا المطرب (سامي مناتي) الذي كان أحد أعضاء فرقة الكورال التابعة لدار الإذاعة والتلفزيون العراقية، والذي غيراسمه إلى سامي كمال أعتزازاً وتيمناً بأستاذه الملحن كمال السيد.

طالب القره غولي

توالت ألحان كمال السيد لصوت هذا المطرب، حيث غنى سامي العديد من ألحان كمال السيد منها أغنية (بين جرفين العيون) من كلمات الشاعر مهدي عبود السوداني والتي يقول احد مقاطعها:

بين جرفين العيون.. غركت والروجه رمش
تيهتني وردت أكلك.. هاك أخذ روحي وأمش
وآنه أجيك بشوك طافح.. بين ألومك بين أسامح
يا ما چنت أسهر.. وأساجيك ابدموعي
وآني چاتلني العطش
يا البريسم شرد أعاتب، شرد أعاتب يا البريسم
وإنت تسبكني بعتابك يا البريسم
وأنسى كل ما أرد أكلك يا البريسم
من كثر هم الليالي.. ذوبت حتى الليالي)

وأغنية (أحبه وأريده) للشاعر كاظم اسماعيل كاطع و(لاتكولون الحب ضاع) كلمات كريم العراقي، واستمر سامي كمال بمرافقة ابوه الروحي كمال السيد حتى بعد رحليه عن العراق قسراً الى اليمن.

كمال السيد قدم العشرات من الاغاني للعديد من الاصوات الرجالية والنسائية أمثال اغنية (ياريحان) للمطرب فاضل عواد وكلمات الشاعر الكبير مظفر النواب،(كصت المودة) للمطربة أنوار عبد الوهاب و(حبنه حبيبي لولاه) لعارف محسن، وأغنية(العشك مو بالشكل) للمطرب الراحل صباح السهل و أديبة وهي دويتو و أغنية(يا غريب الدار) و(سلمت وإنت ما رديت السلام) للمطرب قحطان العطار وهي من كلمات الشاعر عريان السيد خلف وأغنية(هنيالك)، للمطربة غادة سالم، واغنية(كون السلف ينشال) للمطرب حسين نعمة، اما المطرب حميد منصور فقد غنى للملحن كمال السيد العديد من الأغاني منها أغنية(نجمة حبيبي)واغنية (مثل الحدايق) و (كالت لي الشموع)، وأغنيتان للراحل سعدي الحلي هما(ما أبدلك والنبي) و(ياهيل) أما سعدون جابر فقد غنى أغنية(يا أهيف الطول) في منتصف السبعينيات.

اضطر الى مغادرة العراق حاله حال العشرات من المبدعين الذين احسوا بما هو قادم على ايدي جلادي الشعب العراقي فكانت محطته الاولى هي اليمن عمل في مجال التعليم كأستاذ للموسيقى في معهد الفنون الجميلة، و في المنفى لم تنطفئ جذوة الابداع وحب الموسيقى والغناء حيث قام هو مجموعة من زملاء المنفى بتاسيس (فرقة الطريق الغنائية) التي ضمت زميله الملحن حميد البصري والملحن جعفر حسن والمطرب سامي كمال وعازف الإيقاع حمودي عزيز والمطربة شوقية استطاع من خلالها تقديم العشرات من الاعمال الفنية التي استمرت لعدة سنوات.

سوريا كانت محطته الثانية بعد مغادرته اليمن فقد كوّن في العام ١٩٨٣ فرقة فنية مع الملحن الكبير كوكب حمزة اسمياها (فرقة بابل) اعتزازا بارث بلادهم الحضاري انضم اليها ايضاً المطرب سامي كمال والمطرب فلاح صبار وسالم البهادلي وعازف الايقاع حمودي عزيز كانت لها الاثر الروحي الذي يربطه بالوطن الذي تفصله عنه الاف الكيلومترات لكنه كان يختصر المسافة والزمن والبعد المضني بمشاعره التي كانت تتدفق عطاءاً وحباً وحنيناً على حناجر اعضاء هذه الفرقة الغنائية الفنية فقد كانت ملاذ لكل المنفيين من العراقيين هناك. ولم تكتف الفرقة بتقديم الغناء بل قامت بتقديم العديد من المسرحيات والاوبريتات الفنية والتي كان يضع لها الموسيقى التصويرية والمؤثرات الصوتية بنفسه.

الغربة لم تستطع اخماد موهبة هذا الفنان الكبير بعطائه الفني وحبه للغناء، الدنمارك كانت محطته الاخيرة فسرعان ما اخذ على عاتقه وكما هو دابه بتاسيس فرقة للاطفال العراقيين قدم من خلالها العشرات من العمال الجميلة باصوات هؤلاء الاطفال مثل اغنية(محروس يا عراقنا) و أغنية(أجمل وطن)واغنية (يا بلبل الصباح) واغنية(يا بنيات المحلة)و(ما أبسط الحياة) واغنية (يمه يا يمة) واغنية(قلم التلوين) العديد من الاغاني الرائعة.

أغنيتان افرزهما البعد عن الوطن وحملت مشاعر كل الراحلين بعيداً عن ديارهم وهي امنيات بالخير والسلام غناهما الفنان قحطان العطار(كل سنة وإنت طيب) التي يقول مطلعها:

كل سنة وإنت طيب اه يحبيّب يا وطني الحزين
شلون الامهات
واحزان البنات
اشلون النخل النخل ومي دجلة وفرات
يادجلة وفرات يميّة العين.

هذه الاغنية رغم الابواب الموصدة بوجه الابداع العراقي الا انها وصلت الينا واستمعنا لها داخل الوطن المسجون واخترقت كل الحواجز القمعية وقمنا بنسخها وتداولها رغم انف السلطات انذاك، والاغنية الثانية (يا غريب الدار) وكانتا قد سجلتا منتصف التسعينيات.

سبع وخمسون جرحاً هي كل رصيد كمال السيد من الحياة التي ولجها في الناصرية وغادرها في احدى مستشفيات كوبنهاكن اثر مرض عضال لم يمهله طويلاً في الرابع والعشرين من شهر تشرين الثاني عام ٢٠٠١ سافرت روحه النقية الى بارئها واعتقد ان مرت على سماء العراق لتودعه اخر وداع وتلقي عليه السلام الاخير ، شيعه زوجته وابنه كيم الحسين ومجموعة من المحبين والاصدقاء الذين ما انفكوا يتذكرونه للان ودفن في المقبرة الاسلامية في العاصمة كوبنهاكن نهاية طريق المكيّر الذي سارت عليه خطواته الاولى.